بُحَيْرة الأُمْنِيات

تأليف: زنجبيل علوه
رسم: نور الرشدان

في قَديمِ الزَّمانِ، عاشَ ثَلاثَةُ أَطْفالٍ مَعَ أُمِّهِمْ في كوخٍ صَغيرٍ عِنْدَ أَطْرافِ مَدينَةِ السُّرورِ.

كانَتِ الأُمُّ تَخْبِزُ الكَعْكَ عِنْدَ الصَّباحِ وَتَتْرُكُ بَعْضَهُ لِأَطْفالِها، وَالقِسْمُ الآخَرُ كانَتْ تَبيعُهُ في السّوقِ وَتَشْتَري بِثَمَنِهِ الفَواكِهَ والخُضارَ وَالحَلْوى وَتُوَفِّرُ بَعْضَ المالِ لِرِحْلَةِ نِهايَةِ الأُسْبوعِ الّتي يَذْهَبونَ فيها إلى الحَديقَةِ العامَّةِ.

وفي نِهايَةِ أحَدِ الأسابيعِ حَضَّرَتِ الأُمُّ الطَّعامَ اللّذيذَ وَالحَلْوى كَعادَتِها ووَضَعَتْهُ في سَلَّةِ القَشِّ الكَبيرَةِ وَانْطَلَقَتْ مَعَ أَطْفالِها إلى الحَديقَةِ.

اسْتَمْتَعَتِ العائِلَةُ بِجَوِّ الحَديقَةِ. وَعِنْدَ العَصْرِ وَقَفَتِ الأُمُّ وَأَطْفالُها قُرْبَ بُحَيْرَةِ الأُمْنِياتِ، وَرَمَتِ الأُمُّ حَصًى صَغيرَةً في البُحَيْرَةِ وَقالَتْ: «أَتَمَنّى أنْ يَبْقى أَطْفالي بِجانِبي دومًا حَتّى يَكْبروا

وَيُصْبِحوا رِجالًا ناجِحينَ».

حَمَلَ كُلُّ طِفْلٍ مِنَ الأَطْفالِ حَصًى صَغيرَةً وَرَماها في الماءِ وَقالَ:

«أتَمَنّى أنْ أمْتَلِكَ مَنْزِلًا تُحيطُ بِهِ الحَدائِقُ».

وَلَمْ يَعْرِفْ أيٌّ مِنَ الأُمِّ وَأَطْفالِها أنَّ «السَّيِّدَ جَبّارَ» سَمِعَ تَمَنِّياتِهِم.

وَ«سَيِّدُ جَبّارُ» هُوَ أحَدُ أغْنِياءِ المَدينَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ غَريبُ التَّفْكيرِ،

يُحِبُّ أنْ يُساعِدَ النّاسَ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ أيْضًا، وَيُحِبُّ تَحْقيقَ أُمْنِياتِ

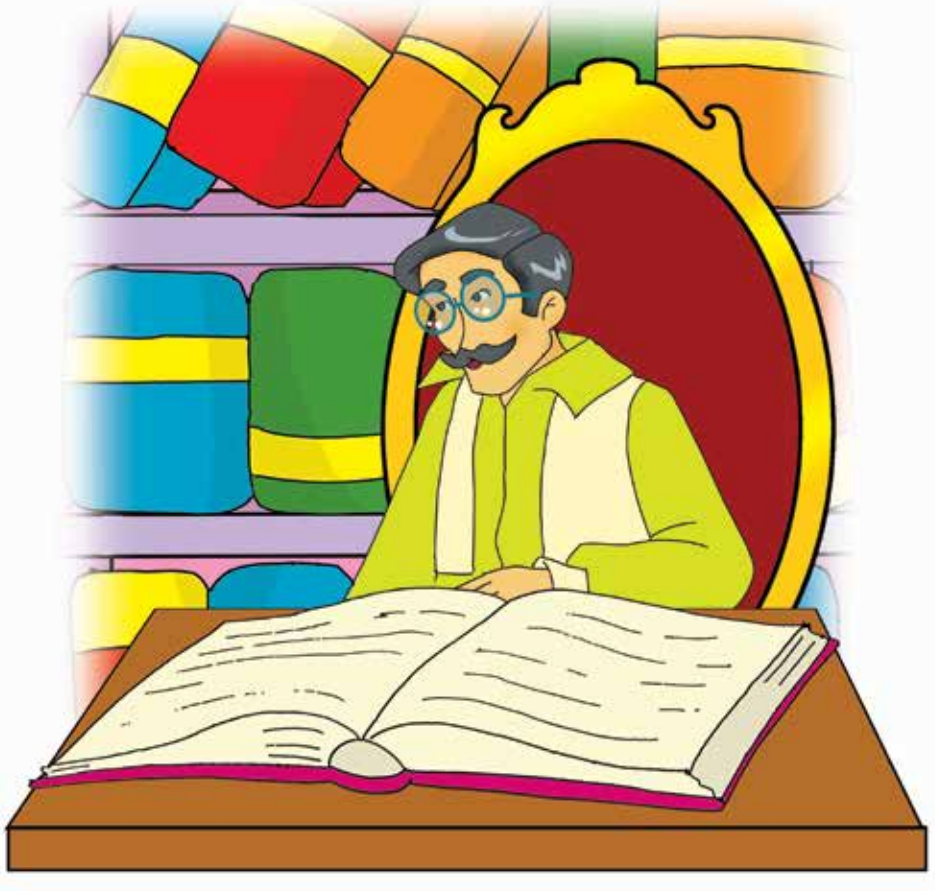

الآخَرينَ لِيَعْرِفَ مَدى وَفائِهِم وَحُبِّهِم لِبَعْضِهِمْ، أو إنْ كانوا

طَمّاعينَ لِيُحاسِبَهُم.

عادَ «السَّيِّدُ جَبّارُ» في ذَلِكَ اليَوْمِ إلى قَصْرِهِ الكَبيرِ، دَخَلَ غُرْفَتَهُ

المَليئَةَ بِالكُتُبِ الكَبيرَةِ الحَجْمِ، فَكُلُّ كِتابٍ في تِلْكَ الغُرْفَةِ

بِحَجْمِ طِفْلٍ صَغيرٍ.

وَضَعَ نَظّاراتِهِ عَلى عَيْنَيْهِ، وَجَلَسَ عَلى كُرْسِيِّهِ الذَّهَبِيِّ وَبَدَأ يُفَكِّرُ

بِطَريقَةٍ يَعْرِفُ فيها مَدى حُبِّ هَذِهِ العائِلَةِ لِبَعْضِها.

في نِهايَةِ الأُسْبوعِ التّالي، وَصَلَتِ الأُمُّ وَأَطْفالُها إلى الحَديقَةِ، وَسَرَدَتِ الأُمُّ على مَسْمَعِ أَطْفالِها قِصَّةً جَميلَةً.

بَعْدَ قَليلٍ، طَلَبَ الأَطْفالُ مِنْ أُمِّهِمُ الذَّهابَ إلى أَطْرافِ البُحَيْرَةِ لِمُشاهَدَةِ البَطِّ الأَبْيَضِ، وَهي تَسْبَحُ، فَوافَقَتْ.

بَعْدَ مُضِيِّ وَقْتٍ على ذَهابِ الأَطْفالِ، اقْتَرَبَ «السَّيِّدُ جَبّارُ» مِنَ

الأُمِّ وَقالَ لَها: «مَرْحَبًا أَيَّتُها السَّيِّدَةُ الطَّيِّبَةُ، لَقَدْ سَمِعْتُ أُمْنِيَتَكِ الأُسْبوعَ الماضي فَإِنْ تَخَلَّيْتِ عَنْ أُمْنِيَتِكِ وَقَبِلْتِ بِأَنْ تَعيشي بَعيدَةً عَنْ أَطْفالِكِ سَأُعْطيكِ قَصْرًا كَبيرًا وَحَدائِقَ وَمُجَوْهَراتٍ».

قالَتِ الأُمُّ: «جَواهِري هُمْ أَوْلادي، وَالكوخُ الّذي نَعيشُ فيهِ هُوَ أَجْمَلُ قَصْرٍ في العالَمِ».

قالَ «السَّيِّدُ جَبّارُ»: «فَكِّري جَيِّدًا قَدْ تُغَيِّرينَ رَأْيَكِ».

قالَتِ الأُمُّ: «اِبْتَعِدْ أيُّها الرَّجُلُ، كَلامُكَ لا يَسْتَحِقُّ التَّفْكيرَ فيهِ».

تَرَكَتِ الأُمُّ «السَّيِّدَ جَبّارَ» تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَانْطَلَقَتْ لِتَعودَ مَعَ أطْفالِها إلى الكوخِ.

وَيا لَحُزْنِ هَذِهِ الأُمِّ، لَمْ تَجِدْ أطْفالَها قُرْبَ البُحَيْرَةِ، فَبَحَثَتْ في كُلِّ الحَديقَةِ، وَسَألَتِ المَوْجودينَ هُناكَ ثُمَّ خَرَجَتْ مِنَ الحَديقَةِ وَبَحَثَتْ في الشَّوارِعِ المُجاوِرَةِ طَوالَ اليَوْمِ.

أمّا الأطْفالُ فَقَدْ كانوا مَعَ «السَّيِّدِ جَبّارٍ» في عَرَبَتِهِ وَهُوَ يَبْتَعِدُ بِهِمْ إلى خارِجِ المَدينَةِ.

فَالسَّيِّدُ جَبّارُ قَبْلَ أنْ يَطْلُبَ مِنَ الأُمِّ أنْ تَتَخَلّى عَنْ أبْنائِها كانَ قَدِ الْتَقى الأطْفالَ قُرْبَ البُحَيْرَةِ وَوَعَدَهُمْ بِمَنْزِلٍ وَحَديقَةٍ كي يَتْرُكوا أُمَّهُم وَحْدَها، فَوافَقوا.

فَرِحَ الأطْفالُ كَثيرًا عِنْدَما وَصَلوا إلى المَنْزِلِ الّذي وَعَدَهُمْ بِهِ

«السَّيِّدُ جَبّارُ» وَبَدَأوا بِاللَّعِبِ في حَديقَتِهِ الجَميلَةِ.

مَرَّتِ الأيّامُ وَالأُمُّ تَعيشُ في حُزْنٍ شَديدٍ لِفِقْدانِها أطْفالَها.

أمّا الأطْفالُ فَكانَ الواحِدُ مِنْهُمْ يَتَذَكَّرُ أُمَّهُ وَحَنانَها عِنْدَ النَّوْمِ وَعِنْدَ الاسْتيقاظِ؛ لَكِنَّهُ كانَ يَنْسى ذَلِكَ عِنْدَما يَبْدَأُ باللَّعِبِ في الحَديقَةِ مَعَ الهِرَرَةِ وَالبَطِّ وَالطُّيورِ.

لَمْ يَتَنَبَّهِ الأطْفالُ أنَّ «السَّيِّدَ جَبّار» وَعَدَهُمْ بِمَنْزِلٍ وَحَديقَةٍ؛ لَكِنَّهُ

لَمْ يَعِدْهُمْ بِالمالِ لِشِراءِ الطَّعامِ، فَجاعوا وَلَمْ يَجِدوا ما يَأْكُلونَهُ.

فَقَطَفوا ثِمارَ الحَديقَةِ وَأكَلوها، ثُمَّ باعوا مَفْروشاتِ المَنْزِلِ، وَحَصَلوا عَلى بَعْضِ المالِ؛ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَشْعُروا بِالسَّعادَةِ وَالأمانِ وَمَرَّتِ الشُّهورُ وَحَنينُ الأطْفالِ وَاشْتِياقُهُم لِأُمِّهِم يَزْدادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْم، فَقَرَّروا في أحَدِ الأيّامِ أنْ يُعيدوا المَنْزِلَ وَالحَديقَةَ لِلسَّيِّدِ جَبّار وَأنْ يَرْجوهُ كي يُعيدَهُمْ إلى حِضْنِ أُمِّهِم الدّافِئِ.

اسْتَقْبَلَهُمُ «السَّيِّدُ جَبّار» في حَديقَتِهِ الرّائِعَةِ وَقالَ لَهُمْ: «لَقَدْ تَخَلَّيْتُمْ عَنْ أُمِّكُم مِنْ أجْلِ مَنْزِلٍ؛ بَيْنَما هِيَ رَفَضَتِ القَصْرَ وَالحَدائِقَ مَنْ أجْلِكُمْ، اذْهبوا وَاطْلُبوا السَّماحَ فَقَدْ تُسامِحُكُم».

أسْرَعَ الأطْفالُ إلى كوخِهِمُ القَديمُ، وَطَرَقوا البابَ، فَفَتَحَتِ الأُمُّ الطَّيِّبَةُ وَارْتَمى الأطْفالُ في حِضْنِ أُمِّهِم فَعانَقَتْهُم، وَسامَحَتْهُم.

وَاجْتَمَعَتِ العائِلَةُ مِنْ جَديدٍ حَوْلَ الطّاوِلَةِ لِتَأْكُلَ الكَعْكَ اللَّذيذَ

الَّذي صَنَعَتْهُ الأُمُّ.

بَعْدَ ساعاتٍ سَمِعوا طَرْقًا عَلى بابِ الكوخِ، فَتَحَتِ الأُمُّ البابَ فَإِذا بِها تَجِدُ «السَّيِّدَ جَبّار»، فَقالَتْ لَهُ: «اِذْهَبْ أيُّها السَّيِّدُ، هَلْ تُريدُ أخْذَ أطْفالي مِنّي مُجَدَّدًا؟».

صَرَخَ الأطْفالُ بِصَوْتٍ واحِدٍ: «لا لَنْ نَتَخَلّى عَنْكِ بَعْدَ الآنَ يا أُمّي، حَتّى لو أعْطونا العالَمَ كُلَّهُ».

قالَ «السَّيِّدُ جَبّارَ»: «أُريدُ أنْ أُكافِئَكِ أيَّتُها الأُمُّ الحَنونَةُ وَسَأُقَدِّمُ لَكِ قَصْري وَحَدائِقي، فَأنا راحِلٌ الآنَ مِنْ هَذِهِ المَدينَةِ لِأُحَقِّقَ بَعْضَ الأماني في المَدينَةِ المُجاوِرَةِ.

قالَتِ الأُمُّ: «لا أقْبَلُ أنْ تُكافِئَني عَلى اهْتِمامي بِأطْفالي، إنَّهُ واجِبي».

فَقالَ «السَّيِّدُ جَبّارُ»: «بابُ القَصْرِ مَفْتوحٌ، وَهُوَ لَكِ اذْهَبي إلَيْهِ مَعَ

أطْفالِكِ وَإلّا سَيَمْتَلِئُ بِغُبارِ الشَّوارِعِ وَسَتَدْخُلُ إلَيْهِ الحَيواناتُ وَتُخَرِّبُهُ».

وَقَبْلَ أنْ يَصْعَدَ إلى العَرَبَةِ، قالَتْ لَهُ الأُمُّ: «سَأقْبَلُ بِالقَصْرِ؛ لَكِنْ عِدْني ألّا تُبْعِدَ الأطْفالَ عَنْ أُمَّهاتِهِم، فَهُمْ لا يَزالونَ أطْفالًا وَقَدْ لا يُفَكِّرون بِما سَيَحْصُلُ لَهُمْ وَحْدَهُم.

فَهَزَّ «السَّيِّدُ جَبّار» رَأْسَهُ مُوافِقًا.

تَرَك « السَّيِّدُ جَبّار» مَدينَةَ السُّرورِ، وَانْطَلَقَ إلى مَدينَةٍ أُخْرى؛ أمّا الأُمُّ وَأَطْفالُها فَقَدِ انْتَقَلوا لِلْعَيْشِ في القَصْرِ الَّذي اسْتَحَقَّتْهُ تِلْكَ الأُمُّ الطَّيِّبَةُ لِعَدَمِ تَضْحِيَتِها بِأَبْنائِها مِنْ أجْلِ المالِ.

وَافْتَتَحَتِ الأُمُّ المُضَحِّيَةُ مَخْبَزًا لِصُنْعِ الكَعْكِ في إحْدى غُرَفِ القَصْرِ الأرْضِيَّةِ لِبَيْعِهِ لِلزَّبائِنِ لِتُؤَمِّنَ لِأَطْفالِها حاجاتِهِم وَتَتَمَكَّنَ مِنْ تَعْليمِهِمْ، وَهَكَذا عاشَ الأَطْفالُ مَعَ أُمِّهِمُ الحَنونَةِ حَياةً تَمْلَؤُها السَّعادَةُ.